# فنُّ التشبيه
# فِي (تَفْسِيْرِ مِنْ هُدَى القُرْآنِ)
# للسيد محمد تقي المُدَرِّسِي

أ.م.د. خالد عبد النبي عيدان الأسدي
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
قسم/ الفقه وأصوله

# The Art of Similes in (Interpretation of the Guidance of the Qur'an) by Sayyid Muhammad Taqi al-Mudarrisi

Lect. Khaled Abdul Nabi Eidan al-Asadi
University of Karbala / College of Islamic Sciences

## ملخص البحث

هذا البحث يُسلط الضوء على جهد بلاغي لعالم شيعي معاصر من كربلاء المقدسة وهو السيد (محمد تقي المدرسي) عبر كتابه (تفسير من هدى القرآن) ومن هذا الجهد استقينا فرعاً من فروع البلاغة هو (فن التشبيه)، فلم يغفل المفسر هذا الفن في تفسيره حيث ذكره وذكر الغرض منه في الآيات المباركة، وقد تناولنا أبرز أنماط هذا العلم المتجدد، إذ هو جزء من جماليات النص القرآني في بيانه، فوجدنا أنّ المفسر لم يكن منغلقاً على طائفته أو مذهبه، وإنَّما كان يأخذ من جميع الطوائف بتعدد مشاربها وأنماط تفكيرها، وكان رأيه حاضراً ريادياً في أغلب الأحيان، وكثيراً ما يبدأ من حيث انتهى الآخرون، وهذا يدلل على أن المفسر كان ذا اطلاع على أغلب التفاسير، بيد أن هذا لا يمنع موافقته لهم في بعض النصوص التي يراها صائبة.

هذه محاولة ألقت الضوء على جهد من جهود علماء كربلاء المقدسة ندعو الله أن تكون قد أسهمت في رفد المكتبة العربية خدمة للقرآن الكريم، فإن وفقنا فلله الحمد، وإلا فحسبنا أننا حاولنا، والله من وراء القصد.

والحمد لله رب العالمين...

**Abstract**

This research sheds light on the rhetorical efforts of a contemporary Shiite scholar from the holy city of Karbala, Sayyid Muhammad Taqi al-Modarresi, through his book (Tafsir min Huda al-Qur'an). From this effort, we derived a branch of rhetoric, namely the art of simile. The interpreter did not neglect this art in his interpretation, as he mentioned it and its purpose in the blessed verses. We addressed the most prominent forms of this renewed science, as it is part of the aesthetics of the Qur'anic text in its eloquence. We found that the interpreter was not closed to his own sect or school of thought, but rather drew from all sects with their diverse orientations and modes of thought. His opinion was present and pioneering in most cases, and he often began where others had left off. This indicates that the interpreter was well-versed in most interpretations. However, this did not prevent him from agreeing with them on some texts that he deemed correct.

**المقدِّمة:**

الحمد لله الذي منَّ علينا بكتابه العزيز، وبيَّنه لنا على لسان نبيه وخيرته من خلقه، وأودعه فينا مع عترته الطاهرة وأصلي وأسلم على نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) الذي قال: إنِّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا.

وبعد..

القرآن الكريم كما نعرف نص متجدد قابل للموائمة في كل زمان ولكل مكان، فهو﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، فكان دأبنا أن نبحث موضوعاً بلاغياً في كتاب الله العزيز الذي أبهر فحولَ البلاغة بأسلوبه، عند عالمٍ دينيٍّ كربلائي معاصر، فاخترنا تفسير(من هدى القرآن) للسيد محمد تقي المدرسيّ، واستقينا منه أسلوباً بلاغياً يكاد يكون من أكثر الأساليب عناية لدى أصحاب البلاغة، وهو(فن التشبيه)، ولما وجدنا من عناية لدى المفسر بهذا الفن؛ حدى بنا أن نجمع أرائه بعد الإستقراء لها في ثنايا كتابه موضوع البحث، كونه إضافة معرفية للمكتبة العربية والإسلامية، كل هذا كان دافعاً رئيساً للشروع في هذا البحث، وليضيء جانباً من القيمة العلمية لها.

ولم يُسَلَّط الضوء على هذا التفسير من قبل، فكان هذا البحث بكراً في الولوج إلى آرائه (دامت توفيقاته)، واعتمدنا منهج التحليل والوصف، وكان الإختصار حاضراً في البحث، خشية الإسهاب وتكرار المعنى.

والحمد لله رب العالمين...

**توطئة:**

التشبيه من الأساليب البيانية الرائعة في القرآن الكريم وكلام العرب، إذ لا تخلو قطعة بلاغية منه مع الفارق بين كلام المخلوق وكلام الخالق، فالأديب يأتي به لجمالية النص أو لرسم صورة ما أمام القارئ أو السامع لشدِّه إليها، في حين إنَّ هذه الأغراض تختلف في القرآن الكريم، حيث يأتي به القرآن الكريم لتقريب

المعنى أو للنصح والإرشاد أو للردع والكف عن العمل.

ولم يكن التشبيه من الطوارئ على اللغة العربية، بل كان من الفنون الملازمة لكلام العرب منذ النطق بالضاد على لسان نبي الله إسماعيل (عليه السلام) كما لا ننكر وجوده في اللغات الأخرى، فكانت العرب تعرف هذا الفنَّ دون مصطلحه، إذ نجده في أشعار العرب المأثورة عنهم في عصر ما قبل الإسلام وهي مليئة بهذا الأسلوب إلى جنب الأساليب البلاغية العربية، ولقرب المعنى بين التشبيه والتمثيل؛ رادفَ كثير من العلماء بينهما، بيد إنهما يختلفان من حيث الدلالة والبلاغة ومقاربة الألفاظ إذ إنَّ التشبيه يُعنى بالشكل، والتمثيل يُعنى بالمضمون، كما سنبين ذلك في البحث إن شاء الله.

**التشبيه:**

عدَّ النقاد والبلاغيون العرب التّشبيه قوام البيان العربي، وارتبط عندهم بوظيفة الفهم، والغاية منه إبلاغية نفعية، فقد كان من أكثر الأنماط جذباً لانتباههم وإثارة لإعجابهم[١].

وكان القدماء((ينظرون إلى التّشبيه على أنّه نوع من الإقناع، فالمتكلم عنده فكرة أو قضية عامة غير ظاهرة، أو غير مألوفة، فهو يسوقها مجردة ثم يُعقِّب بتشبيه يوضحها، بحيث تقبلها النفس))[٢]، وعلى الرغم من كثرة استعمالهم لكلمة التشبيه إلا إنهم لم يتطرقوا لتعريف خاص به[٣].

**التشبيه في اللغة:**

فلان شِبهُ فلان فهو شَبَهُهُ، وشَبَه وشَبيه: تَشَابُه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً، والشبيه من الجواهر الذي يشبه الذهب، والشبيه المثل، وتشابه الشيئان: أشبه كل واحد منهما صاحبه[٤].

**التشبيه في الإصطلاح:**

أمّا في الاصطلاح فالتشبيه ((الدلالة على مشاركة أمر لأمر في المعنى))[٥]. وهو من أكثر الألوان البلاغية التي حفل بها التراث العربي الأدبي نظراً لكونه اوضح الصور المجازية ظهوراً في التعبير وأقربها في التناول لوضوح التعبير وجلائه[٦]. ولعل أقدم من وضع حدّاً للتشبيه هو

المبرد (ت ٢٨٥ هـ)، يقول:((واعلم أن للتشبيه حدّاً، فالأشياء تتشابه من وجوه، وانما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع))[٧]. ثم عرّفه قدامه بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) بقوله: ((إن الشيء لا يشبّه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه، ولم يقع بينهما تغاير البتّة اتّحدا فصار الاثنان واحداً، فبقي أن يكون التشبيه إنّما يقع بين شيئين بينها اشتراك في معانٍ تعمّهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه:

هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيما يدني بهما إلى حال الاتحاد))[٨].

وذكر ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) اشكالاً مختلفة من التشبيهات، فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيأة، ومنها تشبيه به معنى، ومنها تشبيهه به حركةً وبطئاً، ويذهب إلى أنَّه إذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان ... صار التشبيه قوياً وصادقاً، وهو يرى أن أحسن التشبيهات ما إذا عُكسَ لم يُنتقض من المعكوس شيء[٩]. وحدَه الرمّاني بأنه: ((العقد على أن أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسن أو عقل))[١٠].

وأكد ابن رشيق القيرواني على أن: ((التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كليّة لكان إياه))[١١]. وهو لا يختلف عمن سبقه من علماء البلاغة، أشار إلى امتناع المطابقة الكلية بين المشبه والمشبه به، لأنه في هذه الحال سوف يكون هو.

فالتشبيه إذن: هو محاولة بلاغية جادة لصقل الشكل وتطوير اللفظ، ومهمته تقريب المعنى إلى الذهن بتجسيده حيّاً[١٢]. وهو تصوير فني يرسم المعنى في الخيال وما إن دقّ ولطف في التعبير إلا ازداد حسناً وكمالاً[١٣]. وفائدته توسيع أفاق التعبير أمام المتكلم فيستطيع من طريق الصورة أن ينقل ما رسم في ذهنه من معانٍ إلى السامع أو القارئ لأنه يجمع

بين الايجاز وحسن البيان والمبالغة في تأكيد المعاني وتقريرها[١٤].

وعليه يكون التشبيه مشابهة شيء لشيء آخر في صفة أو أكثر، وهذه المشاركة في الصفات هي التي دعت إلى التشبيه.

وهو أبلغ وأشدّ تأثيراً؛ لأنه يُعبِّر عن المعاني الذهنية بالصور، وهو أقرب إلى تحريك النفوس وإثارتها.

**أركان التشبيه:**

لإسلوب التشبيه أربعة أركان لا بد من توافرها في التشبيه كما أنَّ طرفي التشبه واجبة الوجود ولا يجوز حذف أحدهما؛ لأنّ فقد أحدهما يخرج التشبيه إلى الاستعارة، و جملة التشبيه كاملة الأركان مثل جملة:(عليٌ كالأسد)، والاركان هي:

١ـ المشبه: وهو أسم علي في المثال السابق.

٢ـ أداة التشبيه: وهي الكاف في المثال.

٣ـ المُشبه به: وهو الأسد في المثال.

٤ـ وجه الشبه: وهي الشجاعة بين علي والأسد.

ملاحظة: يجوز حذف أداة التشبه في جملة التشبيه فقط والاكتفاء بباقي الأركان.

**أدوات التشبيه:**

للتشبيه ست أدوات هي:

١ـ ما كان حرفاً: الكاف، وكأنَّ المشبهة بالفعل.

٢ـ ما كان إسماً: شبه، مثل.

٣ـ ما كان فعلاً: يحكي، يُضاهي[١٥].

**أنواع التشبيه:**

للتشبيه بحسب طرفيه أربعة أنواع وهي:

١ـ ما كان التشبيه حسياً بكلا طرفيه، أي إنَّ المشبه والمشبه به حسيَّان يمكن إدراكهما أو لمسهما أو النظر إليهما بالعين الجارحة.

٢ـ ما كان التشبيه عقلياً بكلا طرفيه؛ أي إنَّ المشبه والمشبه به لا يُمكن لمسهما أو النظر إليهما سوى تصويرهما في العقل.

٣ـ ما كان المشبه محسوسًا والمشبه به عقليًا.

٤ـ ما كان العكس؛ أي: المشبه معقولًا والمشبه به محسوسًا[١٦].

**تطبيقات التشبيه في تفسير(من هدى القرآن):**

القرآن الكريم مليء بالتشبيهات الرائعة التي وقف أمامها أساطين البيان متحيِّرين فيها، وكلما جالوا فيها أفكارهم نضجت لديهم فكرة جديدة، واستخرجوا منها معانٍ طرية لا تنضب، ولا زال القرآن الكريم يكدُّ الذهن ويرشف الفكر من نداه ليخضرَّ أزهاراً من العلم والمعرفة، وأكثر من حصل على ضالته منه هم أصحاب التفسير، لأنَّهم حصروا جهودهم وعلمهم ومعرفتهم في معرفة بيان كتاب الله، ولا نقول بأنَّ أحداً منهم استطاع أن يحدَّ معاني القرآن الكريم، بل هو لكل زمان ومكان، متجددٌ على مدى العصور، ففي كل عصر يخرج مجموعة من المفسرين له، والتفاسير على كثرتها ففيها من الإختلاف الكثير الكثير، وإلاَّ لما كان هذا الكم الهائل من التفاسير لدى الفرق الإسلامية، وتفسير(من هدى القرآن) هو أحد نسائم المعرفة القرآنية الذي ذكر هذا الأسلوب ـ أسلوب التشبيه ـ بكثرة وسنأتي عليها بحسب أنواع التشبيه المذكورة آنفاً إن شاء الله.

**أولاً: المشبه والمشبه به حسيَّان:**

ورد في تفسير من هدى القرآن هذا اللون من التشبيه في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((هكذا الغيبة. أرأيت أن شخصية الإنسان أعظم عنده أم شخصه؟ أليس المرء يسعى جهده من أجل الكرامة والتقدير، فإذا اغتابه أحد فقد اغتال شخصيته، ونال من كرامته وهي أعز من جسده، ولأنه ليس في محضره فكأنه أكل لحمه بعد موته.

بالله ما أروع هذا التشبيه؟ وما أنفذه من تحذير في وجدان الإنسان الحر. وكيف يقرِّب كتاب ربنا الحقائق العظيمة إلى وعينا، بهذه البلاغة النافذة.. وكيف يبصرنا بأن البشر ليس كسائر الأحياء يعيش حياة مادية ضمن حدود بدنه فحسب، بل إنه

يمتد مع سمعته وشهرته أنَّى توسعت في أفق المكان والزمان.. وقد يضحِّي الإنسان بجسده في سبيل كرامته، أوَلَا يدل ذلك على أن كرامة الإنسان أعظم عنده من شخصه؟ من هنا فإن الاعتداء عليها ليس بأقل من الاعتداء على بدنه.. والغيبة اعتداء سافر على كرامة الشخص فما أشدها حرمة؟.

من هنا جاءت النصوص تترى في التحذير من الغيبة بوصفها أكلا للحم المغتاب بعد موته.))[١٧]، فالتشبيه هنا أفاد التحذير بلاغياً، وقد أشار السيد المدرسي إلى صلب موضوع التشبيه دون بيان أركانه ونوعه، وهذا ما نلمسه عند المفسرين على الأعم الأغلب، حيثُ كانت عنايته موجهة مباشرة إلى المضامين البلاغية لا إلى عنواناتها، فيستثمر منها ما يخدم النص المقدس، وقد تنبَّه إلى الغرض البلاغي من التشبيه وهو التحذير، عبر هذه الصورة المقززة التي يرسمها النص المقدس للغيبة، ويُضيف البحث إلى ذلك؛ إنَّ التشبيه جاء في سياق النفي الحقيقي المسبوق بأمر الاجتناب مما يدل على إنَّ سياق الآية المباركة فيه ردع شديد، والمخالف سيلقى عذاباً شديداً، وليس هذا فحسب؛ فنهاية الآية المباركة تقول:﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي إنَّ المخالف يخرج عن التقوى، وباب التوبة مفتوح لمن يريد التوبة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾[الذاريات:٧]، يقول السيد المدرسي: ((... ثم يقسم الرب تبارك وتعالى بالسماء التي أحكمت إحكاما، التي تشبه الدروع المحبوكة، المتصلة حلقاتها مع بعضها بمتانة وقوة.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ لعل القرآن الحكيم يشِّبه السماء بالدرع، وعندئذ يعطي لها هذا التشبيه صفات ثلاث:

**الأولى**: أنها قوية متينة كما الدرع.

**الثانية**: أنها تحفظ الأرض من النيازك والغازات السامة.

**الثالثة**: أن كراتها شبيهة بحلقات الدرع فهي متناثرة ولكنها ترتبط مع بعضها بعضًا برباط وثيق. إن الإنسان يزعم بادئ النظر أن لا صلة للشمس

بالأرض وللأرض بالقمر أو أنه لا علاقة بين أجرام المنظومات الشمسية ومنظومات المجرات، كلا.. هناك ما يشبه غلالة من الجاذبية تربط بين جميع الكرات والمنظومات والمجرات كما تتصل حلقات الدرع تماما))[١٨]، ولعله فيه توهم هنا، إذ لا يوجد تشبيه في هذه الآية المباركة، ولا يوجد معنى للدرع فيها، والحُبُك: هو الصنع بحُبكة، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ((ذات الحسن والزينة))[١٩]، وهذا ما ذكره أغلب المفسرين[٢٠]، فلا تشبيه في هذه الآية المباركة بين السماء والدرع؛ وإنَّما القصد فيها الزينة وحسن الخلق بحبكة، ووضعتُ هذا النص هنا؛ لأنَّ السماء منظورة، والدرع ملموس.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر:٣١]، يقول السيد المدرسي: ((وهو بقايا العلف والحشائش والأعواد اليابسة التي تتراكم في حظيرة الماشية، وتبقى تهشمها بأظلافها وحوافرها، وحيث لا تجد طريقا للخروج منها تظل تدوسها بكثافة. وقد ذُكرت معاني أخر للهشيم إلا أن ما ذكرنا يبدو أقرب منها.

هكذا كان مصيرهم وعذابهم، وما تصوره الآيات لنا عنه مجرد لقطات يحفظها القرآن لإنذار البشرية وتذكيرها عبر الزمن، ونحن لا نستطيع تصور الصيحة التي عبَّر بها الرب يومئذ عن غضبه بعقولنا المحدودة، ولا نستطيع أن نتخيل ثمود وقد تعرضوا لها، بالذات لو كنا في مجتمع القرآن الأول أيام الرسول صلى الله عليه واله حيث لم يصنع الإنسان الأسلحة التدميرية المعاصرة، لذلك نجد القرآن يقرِّب لنا الصورة بتشبيه واقعي تستوعبه عقولنا، ويفهمه حتى ذلك البدوي الذي يقطن الصحراء، وهذا من منهج الله في تيسير كتابه المجيد))[٢١]، فقد تنبه السيد المدرسي إلى اللمسة البلاغية والغرض من التشبيه هنا وهو التقريب، فتقريب المعنى إلى الأذهان جاء بتشبيه محسوس تستشعره النفوس كي تتعض قبل يوم الورود، فضلًا على أنَّ ذكر قوم صالح جاء من باب التحذير من الوقوع بمزالق هؤلاء في قوم الرسول الأعظم

(صلى الله عليه وآله)، ولم يذكر السيد المدرسي سبب وصفهم بالهشيم دون وصف آخر، لعله جاء التشبيه بالهشيم للتحقير وعدم الاكتراث لأمرهم، لأنَّ الهشيم هو بقايا العلف، ولمَّا تدوسه الحيوانات يصبح لا فائدة منه فلا يكترث صاحب الماشية لأمره، فيصبح غير مرغوب فيه.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن:٣٧]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((لعل سبب تشبيهها بالوردة لأنها ليست قطعة واحدة، بل عدة قطع منشقة عن بعضها، ذات صبغة حمراء أو لون آخر، يجمعها الأصل، ولأن السماء (السقف المرفوع) هي رمز الأمن والسلام، فإن انشقاقها يؤذن بالأخطار والخوف، ولهذه الآية اتصال وثيق بالآية: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن:٣٥]، ذلك أن الغلاف الجوي-أحد طبقات السماء- هو الذي يمنع عنا النيازك والغازات الحارقة، ولو حدث -لا سمح الله- أن انشق فإن الأرض ستكون عرضة لتلك الأخطار، ويقول العلماء: لو فتحت ثغرة في الغلاف الواقي-لنفترض مثلا بمساحة كيلو متر مربع واحد- فإن الأرض تحته لا تصلح للحياة أبدا.. لما ينهال عليها من خلال تلك الثغرة من أشعة ضارة أو نيازك حارقة مدمرة))[٢٢]، إذ يرى السيد المدرسي إنَّ التشبيه السماء بالوردة الحمراء من باب تعدد طبقاتها، وهذا المنظر مخيف جداً، ولأنّ العقول لم تكن تُدرك ماهية السماء جاء التشبيه لتقريب الصورة البعيدة بصورة قريبة منهم ملموسة معروفة لديهم، وهذه الأهوال؛ التشبيه فيها أكثر وقعاً في النفوس من أي أسلوب آخر.

وهنا لا بدَّ من سؤال: لِمَ شبَّه الله تعالى السماء التي ستنشق؛ والحدث المهول بالوردة الحمراء وهي رمز المحبة والطمأنينة والأمان؟؟

يبدو إنَّ ما ذهب إليه الفخر الرازي أقرب للسياق، فيقول: ((ما معنى قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾؟ نقول: إنَّها في الحل تكون حمراء، يُقال: فرس ورد إذا أثبت للفرس الحمرة، وحجرة وردة أي

حمراء اللون،.... ويُحتمل وجها آخر وهو أن يُقال وردة للمرة من الورود كالركعة والسجدة والجلسة والقعدة من الركوع والسجود والجلوس والقعود،..... فكذا ههنا قال تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ واحدة أي الحركة التي بها الانشقاق كانت وردة واحدة))[٢٣]، فالوردة ليست الوردة النباتية المعروفة وإنَّما للمرة الواحدة، والباحث يوافق الفخر الرازي في هذا الراي، لأنَّ المناسبة بعيدة بين الحدثين، فالحدث الأول هو انشقاق السماء وبيان الأهوال، والحدث الثاني إذا كانت الوردة النباتية المعروفة فلا مناسبة بينها وبين انشقاق السماء، فالحدثان متضادان متقابلان، في حين رأي الفخر الرازي يوضح الربط والمناسبة بين انشقاق السماء واحمرارها مرة واحدة فيُقضى كل شيء.

وفي قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ واللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:٥]، يقول السيد المدرسي في تفسيره ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾: ((تحتوي العلم ولكنه لا ينتفع بها شيئا، وفي هذا التشبيه دقة بالغة، فإن حمل الرسالة ليس باقتناء نصوصها في الجيب ورفوف المكتبة أو بجمعها وحملها على الرأس والكتف، كلا.. وإلا فالحمار أقدر على حمل عدد أكثر ووزن أكبر من أسفار الرسالة، إنما حمل الرسالة بتطبيقها والالتزام بها في الحياة، لأنها قيم وليست مادة. ولعل المثل موجه إلى علماء السوء الذين لم يرعوا أمانة العلم والدين، بل استغلوها في الوصول إلى المصالح الشخصية والشهوات، لأنهم أبرز مصاديق المحملين لمسؤولية الرسالة، وليس من أحد يشك في أن الانحراف الذي وصل إليه اليهود، ولا زالوا مرتكسين فيه، كان بسبب أدعياء العلم والدين. أو ليسوا اليوم يحاربون الإسلام باسم التوراة؟ أو ليسوا ينتهكون حرمة المسجد الأقصى باسم الدين وبفتاوى الأحبار؟. أَوَ ليسوا يمارسون الظلم والإرهاب ضد الناس؟.))[٢٤]،

فقد أشار السيد المدرسي إلى المغزى البلاغي الذي أفاده التشبيه في هذه الآية المباركة وهو العمل والاجتهاد لا حمل العلم دون العمل، ولو كان كذلك لكان الحمار أفضل منهم لأنه يحمل أكثر منهم. وليس هذا فحسب ففي الآية المباركة لمسات بلاغية أخرى لم يُشر إليها السيد المدرسي وهي:

١ـ قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ ولم يقل: حمَّلناهم، فالآية المباركة أفادت انَّهم أخذوا التوراة من غير أهلها، فلم يُحمِّلهم تعالى التوراة ولم يُكلِّفهم بتحمل علمها لكنَّهم أخذوا على عاتقهم حملها؛ لذا لم يستطيعوا تأدية واجبهم.

٢ـ الفعل (حُمِّلوا) جاء بصيغة البناء للمجهول ومضعَّف للدلالة على ثقل حمل التوراة وثقل تأدية ما فيها من العلم، فليس لكل إنسان الاستطاعة لحمل الدين، والذين حمَّلهم الله تعالى دينه هم أهل لذلك كالأنبياء والرسل والأئمة (عليهم السلام أجمعين) فهؤلاء الصفوة المختارة من قبل الخبير العليم، ومن أخذ العلم من غير أهله هلك.

٣ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ إنَّ حرف العطف (ثُمَّ) كما عند أهل اللغة يفيد التراخي، فهذا يدل على إنهم قضوا برهة من الزمن في حملها لكنهم عجزوا من أن يحملوها، ثُمَّ جزم بعدم حملها في المستقبل بوساطة صيغة الفعل وهي المضارعة التي تفيد التجدد والحدوث والاستقبال والحال.

٤ـ قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ ولم يقل: كالحمار يحمل اسفاراً، لأنّه تعالى أراد أن يُشبه فعل القوم بفعل الحمار، لا تشبيه القوم بالحمار، وهذا يدل على إنَّ للإنسان كرامة عند الله حتى وان كان كافراً، فلا ينتقص من كرامته شيئًا، ولكن الانتقاد يأتي للفعل لا للأشخاص، وإن كان الحمار أيضا من خلق الله؛ لكن الإنسان أكرم وأجل شأناً منه.

ويبدو إنَّ التشبيه جاء لشحذ الهمم وعدم التواني بنشر العلم والتعلُم، وكذلك للاهتمام به مهما كان قليلاً، فالعبرة ليست بالكميَّة بل بالنوعية، كما يُقال: قليلٌ يُذكر خير من

كثيرٍ مُدثر. وفي الآية المباركة كثير من الأساليب والأغراض البلاغية، لكني أكتفي بما يصب في البحث فقط.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر:٤٩-٥٠]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((والاستنفار من النفور المختلط بشعور الخوف والخطر، والكلمة دخلت مصطلحًا في علم العسكرية، يقال: استنفر الجيش إذا توقع عدوًا وتأهب لدفعه، وفي اللغة: المستنفر الشارد المذعور، والكلمة على وزن مُسْتَفْعِل مما يهدينا إلى أن المعرضين عن التذكرة يزيد أحدهم الآخر إعراضا ونفورا عن الحق، كما يزيد أفراد القطيع من حمار الوحش بعضهم بعضا ذعرًا وشرودًا من سطوة الأسد الهصور حينما يهجم عليهم.... وتقول العرب لكل رجل قوي شديد قسورة لأنه يصرع الأقران، ويخافه الآخرون، وما أبلغه من تشبيه تصويري رائع.

ولعل سائلا يسأل: لماذا يفر البشر من التذكرة؟.

والجواب: إن وجدان الإنسان وعقله يرفضان كفره وعصيانه، ويعيش المجرم صراعًا دائمًا معهما ولكنه قد عقد عزمه على المضي قدمًا مع شهواته، فيتهرب من الوعظ والإرشاد حتى لا يدعم جانب عقله ووجدانه، لأن الرسالة تكبح جماح الهوى، وتحدد تصرفات النفس بالأحكام والنظم، وتحمِّله كامل المسؤولية في كل بعد من أبعاد الحياة الفردية والاجتماعية. ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً﴾))[٢٥]، فيرى السيد المدرسي إن التشبيه هنا أفاد الوعظ والإرشاد، وقد أكّد السيد المدرسي ما ذهبنا إليه في الآية السابقة من إن النقد يأتي للفعل لا للأشخاص، ففعلهم كفعل الحُمُر بالاستنفار، لا هم كالحُمر، ولعلَّ سبب نفورهم من التذكرة؛ لأنَّها تُحطِّم آمالهم، وتُسفه أحلامهم لذلك يفرون منها، ولم يُشر السيد المدرسي إلى هذا المعنى مباشرة، وربما أشار إليه بالمعنى المُجمل في نهاية كلامه.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي

غُرُور * أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك:٢٠-٢١]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((لج لجاجة: عَنَدَ في الخصومة، وتمادى في العناد إلى الفعل المزجور عنه، ولج في الأمر: لازمه وأبى أن ينصرف عنه. و العتو: الاستكبار الذي يجاوز الحد، والقلب يقسو فلا يلين، والظالم يطغى ويتجبر. و النفور: يعني التباعد، ونفر الظبي: شرد وابتعد، والإنسان: أعرض عن الشيء وصد، وفي كلمة (وَنُفُورٍ) تشبيه للكفار بالحمير والدواب، إذ تمادوا في معاندة الحق مع وضوحه، وأصروا على لزوم الباطل مع زهوقه، وتجاوزوا الحد في الاستكبار، وركبوا التباعد عن الحق شرودا وإعراضا وصدودا.))[٢٦]، يبدو لا يوجد تشبيه حقيقي بائن في هذه الآية المباركة، لأنَّ النفور لكل دابة في الأرض من إنسان وحيوان، فهنا خبر غرضه الزجر ولا تشبيه فيه للإنسان بالحيوان، ولعلَّه توهم من قبل السيد المدرسي.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((يبدو أن الضيق هو الجزع، ومحدودية الرؤية، وعدم استيعاب الأحداث، بينما الحرج هو التردد وعدم القدرة على اتخاذ رأي ما، وبالتالي أن يرى الشخص نفسه عاجزة عن أي شيء، والذي يصعد في السماء يشعر بالضيق لأنه يجد نفسه مقطوعاً عن أطرافه، ويشعر بالحرج لأنه يخشى الوقوع.

ومن المعروف أن الصعود في السماء يسبب قلة الأوكسجين، وبالتالي ضيق النفس، وسوء الخلق وقد يكون التشبيه من هذا الباب))[٢٧]، فقد أشار السيد المدرسي إلى الغرض البلاغي من التشبيه هنا في هذه الآية المباركة والذي هو الجزع وعدم استيعاب الأحداث، ولعله فيها أيضاً نصح وإرشاد وتخيير بإتِّباع الهداية، والتفسير العلمي الذي جاء به السيد المدرسي غاية في الروعة؛

إذ إنّ الذي يصَّعّد في السماء يلازمه الخوف وضيق الصدر، وهنا نُكتتان لا بدَّ من بيانهما:

١ـ في الفعل ﴿يَصَّعَّدُ﴾ فيه أكثر من تضعيف، يبدو من هذه الصيغة إجبار للذي يصعد، وصعوده يكون بطيئاً يأخذ بتلابيب روحه خوفاً.

٢ـ قال تعالى: ﴿يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ ولم يقل: (يصَّعَّد إلى السماء)، لعلَّ الظرفية هنا جاءت مؤكِدة إنّ التصعيد في السماء لم تكن غايته الوصول إلى السماء، لأنَّ حرف المعنى(في) يفيد الظرفية، و(إلى) يُفيد انتهاء الغاية، فبذلك يكون التصعيد من السماء وفي السماء، لا من الأرض إلى السماء.

**ثانياً: المشبه والمشبه به عقليان:**

لم أجد إشارة للسيد المدرسي لهذا اللون في تفسيره.

**ثالثاً: تشبيه المعقول بالمحسوس:**

ورد هذا اللون في اكثر من موضع في تفسير من هدى القرآن، منه ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٥٨]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها:

((لعل عقولنا بل خيالاتنا تتمكن من استيعاب أقصى حد للجمال، بأجمل امرأة في العالم، ولكن هل يمكنها أن تتصور جمالا يفوق ذلك مليون مرة؟! كلا.. لذلك يقول ربنا وهو يحدثنا عن قاصرات الطرف مشبها: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قيل يشبهن الياقوت صفاءً، فبشرتهن لا يشوبها عيب، وتشبه المرجان حمرة، أو هي ناصعة البياض مشربة بحمرة الياقوت، وربما نستوحي من الآية معنى آخر فكما أن الياقوت ليس كأي حجر يحصل عليه الإنسان بسهولة، بل لا بد له من البحث عنه والاجتهاد، وكما أن اليد لا تصل إلى المرجان إلا بالغوص إلى أعماق البحار وتحمل المشقة، فإن للجنة ثمنا لا يحصل عليها صاحبها إلا به، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢١٤].))[٢٨]، فالغرض البلاغي من التشبيه في هذه الآية المباركة هو للتقريب، لأنَّ الحقيقة

أكبر من تصورنا له بكثير، ولأننا لا نستوعب حقيقة نعيم الآخرة، فإنه تعالى يشير إليه إشارة تقريبية، عبر التشبيه، ففي الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولكي نستوعب جمالهن كان التشبيه بالياقوت والمرجان، وإلاَّ فالحقيقة أكبر، ولعلَّ التشبيه جاء بالياقوت والمرجان لنفاستهما ومحبتهما لقلب الإنسان فهذه الأحجار الكريمة من أنفس حلي البشرية، والنفس تواقة لها، لذا جاء التشبيه بأقرب شيء للنفس، هذا بالإضافة إلى إشارة السيد المدرسي من نقاء السريرة وصفاء البشرة ويجب الجد بالحصول عليه.

ومنه ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر:٥]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((يكوّر: تشبيه بمن يلف شيئاً على شيء، فإذا جاء الليل كان كأنه لفّ على النهار حتى سرّه))[٢٩]، فقد أشار إلى المعنى البلاغي وهو البيان، فالإنسان يجهل تكوير الليل على النهار وهذا من المعقول، واللف محسوس لذلك يكون التشبيه للبيان. وهذا يدل على ألوهية الخالق عزَّ وجل وقهره وقدرته على جميع خلقه، والسيد المدرسي أشار إلى التشبيه بالمعنى لا بأركانه المباشرة، ففي الآية المباركة لا يوجد تشبيه مباشر ولا توجد أركانه، لكنَّه -أي السيد المدرسي- استنبط معنى التشبيه من التكوير، وهذه الإشارة رائعة.

وفي قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ...﴾ [النور:٣٥]، يقول السيد المدرسي: ((بعد أن ذكرتنا الآية الأولى بأن القرآن آيات مبينات، ومثل وموعظة، بصرتنا الآية الثانية تجليات نور الله في السماوات والأرض... ومثلا منها تجلى بالوحي في مشكاة قلب الرسول فإذا به نور على نور، وبعد أن

ذكرتنا آية النور-التي سميت السورة بها- بتفاصيل هذا النور فسرتها بالمثل الواقعي لتجسيد هذا النور:

ألف: فهذه بيوت النبوة سمت بذكر الله، إنه مثل للمشكاة تستقبل المصباح: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾.

باء: ويزهر فيها ذكر الله كما المصباح يشع في المشكاة: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾.

جيم: والصالحون في هذه البيوت هم سور ذكر الله، كما الزجاجة للمصباح، وهم في ذات الوقت حصون الدين، وأوتاد العلم والفضيلة: ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾.

لذلك هم يسبحون ربهم بالغدو والآصال لا تلهيهم تجارة ولا بيع.

دال: وتعلو شعائر الله على أكتافهم من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وتلك الشعائر وقود مسيرة التوحيد، و زيت اتقاد نور الوحي في الآفاق: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾.

هاء: ثم يبصرنا السياق بجزاء هؤلاء وأن الله يزيدهم من فضله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾.

ويبين القرآن صفات الكفر في الطرف الآخر من الصورة ليرينا مدى اتساع الهوة بين الطرفين:

الأول: فبينما نجد هنا المشكاة أو البيوت الرفيعة، لا نجد هنالك إلا سرابا لا حقيقة له في قيعة، لا سور ولا حدود واضحة، ولا موانع طبيعية.

الثاني: وهنا يتسع النور، أما هنالك فظلمات فوقها ظلمات. أمواج البحر تغشاها سحب الليل.

الثالث: وهنالك بيوت رفيعة، يجللها نور الرسالة، ويسمو بها ذكر الرب على شفاه رجال متعالين عن الدنيا، يجب على العباد احترامها، وتعظيم أهلها، وطاعتهم))[٣٠]، فالغرض البلاغي من تشبيه نور الله بالمشكاة هو للتقريب، لأنَّ عقول الناس لا تستوعب نور الله، بغض النظر عن ماهية النور، هل هو الهداية أم هو محمد وآل محمد (صلوات ربي وسلامه عليهم) إلا إنَّ الغرض هنا هو تقريب المعنى للذهن، لذلك كان الوصف دقيقاً جداً للعظمة، قال تعالى: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾، والكوكب الدري لا يحده خيال.

وهنا نكتة بلاغية باستعمال كلمة (دُرِّي)، فلمَ قال تعالى: دُري، ولم يقل: مضيء كالشمس مثلا أو منير كالقمر؟.

الجواب: إنَّ الشمسَ وصفها القرآن الكريم بالمضيئة لأنها مُضيئة في نفسها ومضيئة للأشياء، في حين أنَّ القمر وصفه بالمنير لاكتسابه الضوء من الشمس فأنار بنفسه وهو بمثابة العاكس للضوء، أمَّا الكوكب الدري وصفه القرآن الكريم بهذا الوصف لأنَّه يدر النور والعلم أو الذرية درًّا؛ لذا ورد عن الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) إنّ المعني به -أي الكوكب الدري- السيدة فاطمة الزهراء (عليه السلام) في شرح أصول الكافي إذ يقول: ((... روى الشافعي ابن المغازلي بإسناده إلى الحسن قال: سألته عن قول الله عزّ و جلّ: ﴿كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ﴾ قال المشكاة فاطمة (عليها السلام) و المصباح الحسن و الحسين (عليهما السلام) ﴿الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ قال: كانت فاطمة (عليها السلام) كوكبا درّيّا من نساء العالمين توقد من شجرة مباركة الشجرة المباركة إبراهيم عليه السّلام ﴿لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهوديّة و لا نصرانيّة ﴿يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ﴾ قال: يكاد العلم أن ينطق منها ﴿وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ﴾ قال: منها إمام بعد إمام يهدي اللهّ لنوره من يشاء قال: يهدي لولايتهم من يشاء))[٣١]، وهذا مأخوذ من أصل كلمة(درَّ) كـ(درَّ اللبن) أو(درَّ السحاب) أي: صبَّ الماء[٣٢]، لا بمعنى مضيء أو لبياضه سُمِّي بالدري.

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات:٣٣]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((قيل: مثل القصور والجبال، وفي حديث طويل عن النبي ﷺ في شأن النار: قال: تَرْمِي النَّار بِمِثْلِ الجِبَالِ شَرَرًا، وقيل: مثل أصول الأشجار المتشعبة الجذور، قال ابن عباس: كجذور الشجرة، وعن مجاهد قال: حزم الشجر، وعن الضحاك قال: أصول الشجر العظام. [والعرب تشبه الإبل بالقصور]، والمهم أن التشبيه بالقصر كناية عن الضخامة والتشعب معا وهما مجتمعتين

في مثل القصور. ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾))[٣٣]، فهم لم يتصوروا عظم النار فكان التقريب لهم عبر تشبيهها بالقصر، فالغرض البلاغي الذي رآه السيد المدرسي من التشبيه هو وصف الضخامة للتقريب، في حين إنّ أهل اللغة يرون أنَّ (القصر) له معنيان، إمَّا الحبس أو لا يبلغ الشيء منتهاه أو مداه ونهايته[٣٤]، يبدو إنَّ المعنى اللغوي من عدم بلوغ نهاية رميها للشرر أقرب من القصر أو الجبل المعروف، لأن المقام مقام تخويف شديد، وحصر المعنى بالجبل او القصر أقل وقعاً في النفوس من عدم التحديد للعذاب.

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((وهذه من آيات القرآن الحكيم أنه يبين لنا حركة الأرض من قبل أن يكتشفها البشر، وضرب مثلا رائعا لها حين شبهها بحركة السحاب التي قد لا يحس بها البشر أيضا.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ في حركتها، ولكننا لا نشعر بذلك، ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فهو يؤدي وظيفته على أكمل وجه، وبلا أي خلل ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.))[٣٥]، فالغرض من التشبيه هو بيان قدرة الله في إتقان صنعه، وقد أصاب السيد المدرسي في بيان الغرض البلاغي من التشبيه ههنا، لأنَّ الإنسان يجهل حركة الجبال، فاحتاج إلى بيان نصي قريب من ذهنه، لذا فهو يرى كيف تسير السحاب فقرب الله له سير الجبال بسير السحاب.

**رابعاً: تشبيه المحسوس بالمعقول:**

ورد هذا اللون من التشبيه في تفسير قوله تعالى:﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصافات:١٥]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((حاولوا عبرها تشكيك الناس في أصل الرسالة ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ واختاروا تشبيهها بالسحر، لأنه أقرب الأمور وأشبهها للحق ظاهريا، ومن قصة النبي موسى (عليه السلام) يتضح لنا أن حبال السحرة خُيِّلت للناس أنها

تسعى، إلا أن الفرق بين السحر والحق أن السحر لا واقع له، بينما الحق واقع قائم.))[٣٦]، فكانوا لَمَّا يُريدون لَي أذرع الناس وميلهم إليهم ينعتون صاحب الحق بالساحر، لذا تنبه السيد المدرسي للغرض البلاغي من التشبيه بالسحر هنا وهو الاستبعاد، أي استبعاد الناس عن الحق.

وفي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، يقول السيد المدرسي: ((نتساءل: لماذا أضيف كاف التشبيه على(مثل)، في الوقت الذي كان يكفي أن يقال: ليس مثله شيء؟ هل الكاف هنا زائدة كما قال بعض المفسرين؟ (*) أم أن في المعنى لطفا بديعا!. نحن نميل ألا ننسب الزيادة إلى كلام ربنا، وبعبارة أن ما درج عليه النحاة من عدِّ الزيادة قد يصح نحويا لا دلاليا. اللهم إلا التي تكون للتأكيد، ولا معنى ظاهر للتأكيد هنا، فنعود ونتساءل: إذا ما معنى الكاف؟. التفت بعض المفسرين إلى معنى المثل الذي يختلف ظلاله عن كلمة (ند) أو شبه ومساوي وشكل، حيث إن ظلال كلمة المثل توحي بجانب القيم والصفات والأسماء، بينما ظلال الند توحي بالتشابه في الجوهر، وظلال (الشبه) توحي بالتماثل في الكيفية، أما كلمة (المساوي) فتوحي بالتشابه في الكمية، وإيحاء (الشكل) هو التماثل في المساحة. فإذا قلنا: لَيْسَ كَمِثْلِهِ أي لا يشابه صفاته وأسماءه أحد، فالكاف بمعنى التشبيه، والمثل بمعنى مجمل الصفات والأسماء، والله العالم))[٣٧]، فقد نفى السيد المدرسي الزيادة في القرآن جملة وتفصيلاً، فلكل حرف في القرآن الكريم دلالة أريد لها ان تأخذ مداها اللغوي، فهو يرى أن (مثل) هو اسم يدل على القيم والصفات والأسماء، و(الكاف) حرف بمعنى تشبيه، وهذا يعني إن (الكاف) بمعنى نفي التشبيه (بالشكل)، و(مثل) نفي التمثيل للمضمون، فالتشبيه للشكل والتمثيل للمضمون، ولم يكن السيد المدرسي أول من تنبه لهذا المعنى، حيث سبقه إبن قُتيبة وأبو حيان الأندلسي إلى ذلك، بأنَّ المثل تُعبر عن الذات أو النفس، والشبه يعبر عن الشكل[٣٨]،

وقد أصابوا في هذا المعنى حيث لا زيادة في هذه الآية المباركة لا نحوية ولا دلالية، فرفع الكاف أو مثل سيؤثر تأثيراً دلاليا يُثبت المرفوع منه له، أي إذا رُفعت الكاف، فسيثبت وجود الشبه في الشكل، واذا رفع مثل، فسيثبت وجود المثل في المضمون، وحاشا لله أن يكون له شبيها أو مثيلا. فالغرض البلاغي من التشبيه في هذه الآية المباركة، هو نفي المثلية والتشبيه لله جلَّ وعلا ذكره.

والحمد لله رب العالمين...

**الخاتمة:**

الحمدُ لله الذي نزَّلَ الكتابَ على عبدِهِ ليكونَ للعَالمينَ نذيراً، والصلاةُ والسلامُ على نورِ الهدى، وبيدرِ الرحمةِ، وغيثِ الرأفةِ، خيرِ مَنْ وطئ الثرى، وعلى آلِهِ مصابيحِ الدجى، وسادةِ الورى، النجباء الأتقياء الأولياء، الذين أُذهِبَ عنهم الرجسَ وطُهِروا تطهيراً.

بعد هذه الرحلة التي قضيناها مع تفسير (من هدى القرآن) تمخض البحث عن نتائج توصلت إليها عبر التوغل في سبر هذا التفسير نوردها بالآتي:

١ـ تميّزَ السيد المدرسي بمنهجية علمية في تفسيره، فقد اعتمد تفسير القرآن بالقرآن تارة، وأخرى تفسير القرآن بالرواية الواردة عن أهل البيت (عليه السلام) وتارة عبر استنطاقه للآيات، وينتقل بين هذه وتلك بالتحليل، حتى وصل بنا إلى المعنى البلاغي للآية، المنسجم مع سياق النص المقدس، فلم يُقطِّع النص وإنَّما قرأه قراءة شمولية لاستنتاج معنى سياقي متكامل.

٢ـ كان لعلم البيان حضور واسع في تفسير من هدى القرآن مما حدى بنا اختيار التشبيه من بينها متيقنين خروج بحث متكامل منه.

٣ـ إنماز تفصيل السيد المدرسي للتشبيه بالاختصار الشديد وانصبَّ في معرفة الغرض المعنوي التفسيري منه أكثر من الولوج في تفاصيله.

٤ـ كانت الآراء البلاغية للمفسرين حاضرة في التفسير (من هدى القرآن)، إذ لم يكن منطويا على نفسه، وإنَّما كان اطلاعه على التفاسير موجوداً وقد ذكر ذلك في أغلب تشبيهاته. اذ وافقهم في

البعض وخالفهم في أخرى.

٥ـ كانت أكثر روافد التفسير هي الكشاف للزمخشري والتفسير الكبير للفخر الرازي والتبيان للشيخ الطوسي والميزان للسيد الطباطبائي، و ناقش آراءهم مناقشة علمية مستفيضة فقاده ذلك إلى موافقة آرائهم في بعض الأحيان أو مخالفتها بتجرد وموضوعية.

٦ـ لم يُسلِّم السيد المدرسي بكل ما ورد في التراث البلاغي التفسيري، بل كان له رأيه الخاص، ولم يكن يعتني بموافقة المفسرين فيما يذهبون اليه بل كثيراً ما كان يُزيد على ما جاء به المفسرون أو يخالفهم بقوله: ((ويبدو لي)) أو ((لعله)).

٧ـ كان عزل التشبيه عن التمثيل في البحث من قبل الباحث لما وجد من مادة بلاغية في كلٍّ منهما، فجعل التشبيه في بحث خاص وهو الذي تقدم، وإن شاء الله سيكون للتمثيل بحث خاص كهذا.

٨ـ لمسة السيد المدرسي البلاغية في التشبيه؛ تكمن في الغرض البلاغي منه، ولمَ جاء بهذا التشبيه دون غيره.. كما تبين لنا في البحث.

٩ـ المصطلحات البلاغية للأغراض هي ذاتها التي ذكرها البلاغيون لكن الإختلاف في التحديد لا في التسمية.

هذه أبرز النتائج التي توصل إليها البحث والحمد لله رب العالمين....

**الهوامش:**

١- ينظر: التصوير المجازي، أنماطه ودلالاته، في مشاهد يوم القيامة في القرآن: ٢٥.

٢- كتاب سر الفصاحة (دراسة وتحليل): ٩٨.

٣- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢/ ١٦٧.

٤- ينظر: معجم مقاييس اللغة (شبه):٣/ ٢٤٣، اساس البلاغة (شبه):١/ ٣٢٠، لسان العرب (شبه): ٧/ ٢٤.

٥- التلخيص في علوم البلاغة: ٦٢.

٦- ينظر: البلاغة العربية، د. سعد سلمان حمودة: ٢٤.

٧- الكامل: للمبرد: ٢/ ٧٦٦.

٨- نقد الشعر: ١٠٩.

٩- ينظر: عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي: ١٧- ٢٣.

١٠- النكت في اعجاز القران: ٧٤.

١١- العمدة: ١/ ٢٨٦.

١٢- ينظر: أصول البيان العربي: ٦٣.

١٣- ينظر: تلخيص التمهيد (موجز دراسات مبسطة عن مختلف شؤون القرآن الكريم)، محمد هادي معرفه: ٢/ ٣٣١.

١٤- ينظر: علم البيان، د. بسيوني عبد الفتاح فيّود: ٢٨.

١٥- يُنظر: البلاغة في سؤال وجواب: ١٧٨-١٧٩.

١٦- ينظر: نهاية الإيجاز: ١٣١، مفتاح العلوم: ٥٥٩.

١٧- من هدى القرآن: ٩/ ٣٤١.

١٨- المصدر نفسه: ٩/ ٤٠٣-٤٠٤.

١٩- الميزان في تفسير القرآن: ١٨/ ٣٣٥.

٢٠- يُنظر: التبيان: ٩/ ٣٨١، الكشاف: ٥/ ٦١٠، التفسير الكبير: ٢٨/ ١٩٧، البحر المحيط: ٨/ ١٣٣، الدر المصون:١٠/ ٤٢. وغيرها من التفاسير.

٢١- من هدى القرآن: ١٠/ ١٠٣.

٢٢- المصدر نفسه: ١٠/ ١٥٨-١٥٩.

٢٣- التفسير الكبير: ٢٩/ ١١٨.

٢٤- من هدى القرآن: ١٠/ ٤٦٥.

٢٥- المصدر نفسه: ١١/ ٣٧٣.

٢٦- المصدر نفسه: ١١/ ١٢٦.

٢٧- المصدر نفسه: ٢/ ٤١٨.

٢٨- المصدر نفسه: ١٠/ ١٧١.
٢٩- المصدر نفسه: ٨/ ١٣٧.
٣٠- المصدر نفسه: ٦/ ٥٥.
٣١- شرح أصول الكافي: ٥/ ٢١٥.
٣٢- يُنظر: مقاييس اللغة: ٢/ ٢٥٥، المعجم القرآني: ٢/ ١٠٤.
٣٣- من هدى القرآن: ١١/ ٤٤٤.
٣٤- يُنظر: مقاييس اللغة: ٥/ ٩٦، التهذيب: ٣/ ١٥١، المفردات: ١/ ٤٠٥، أساس البلاغة: ١/ ٣٨٠، المعجم القرآني: ٣/ ٦٧.
٣٥- من هدى القرآن: ٦/ ٣٠٠.
٣٦- المصدر نفسه: ٨/ ١٨.
٣٧- (*) يُنظر: الكشاف: ٥/ ٣٩٨، الميزان في تفسير القرآن: ١٨/ ٢٤.
٣٨- من هدى القرآن: ٨/ ٣٥٦.
٣٩- يُنظر: البحر المحيط: ٧/ ٤٨٩، مباحث علم المعاني في (تفسير من هدى القرآن) للسيد محمد تقي المدرسي، (رسالة): ١٩١.

## المصادر والمراجع:


١- القرآن الكريم

٢- أساس البلاغة، (الزمخشري) ت(٥٣٨هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٨٥هـ.

٣- أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة: د. محمد حسين علي الصغير، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.

٤- الأصول من الكافي، محمد بن يعقوب الكليني(ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي اكبر غفاري، دار الكتب الُسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

٥- البحر المحيط، محمد بن يوسف(أبو حيان الأندلسي) (ت ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، (دار الكتب العلمية)، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٦- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي(ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.

٧- البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، دار نوبار للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

٨- البلاغة في سؤال وجواب، د. ضرغام كريم الموسوي، دار التوحيد للطباعة، كربلاء المقدسة، ط١، ٢٠١٦م.

٩- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي(ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإسلام الإعلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩م.

١٠- التصوير المجازي، أنماطه ودلالاته، في مشاهد القيامة في القرآن: د. أياد عبد الودود عثمان الحمداني، دار الشؤون الثقافية، ط١، ٢٠٠٤م.

١١- التفسير البسيط، أبو حسن علي بن احمد الواحدي، (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: د. نورة بنت عبد الله الورثان، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.

١٢- تفسير البيضاوي، ناصر الدين

ابي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠م.

١٣- التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد بن عمر الرازي(ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط٢، د.ت.

١٤- التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني(ت٤٠٦هـ)، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢، ١٩٣٤م.

١٥- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي(ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، محمد فرح العُقدة، بلا معلومات نشر، د.ط، د.ت.

١٦- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني(ت ٣٨٦هـ)، والخطابي (ت ٣٨٨هـ)، وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط١، د.ت.

١٧- حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، محيي الدين محمد بن مصطفى القوجوي الحنفي المشهور بـ(شيخ زاده) (ت ٩٥٠هـ)، المكتبة الإسلامية، ديار بكر، تركيا، د.ط، د.ت.

١٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف(السمين الحلبي) (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخرَّاط، دار القلم، دمشق، د.ط، د.ت.

١٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣ م.

٢٠- دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني، (ت ٤٧١هـ)،تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.

٢١- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي(دراسة وتحليل)، د. عبد

الرزاق أبو زيد زايد، الناشر مكتبة الشباب، ١٩٨٢م، د.ط.

٢٢- عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، د. احمد احمد بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ط، د. ت.

٢٣- علم البيان، دراسة تاريخية وفنية لاصول البلاغة ومسائل البيان، د.بسيوني عبد الفتاح فيّود، استاذ البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الازهر، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، دار المعارف الثقافية، دار الاحساء للنشر والتوزيع، ط٢- ١٤١٨هـ- ١٩٩٨ م.

٢٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني(ت ٤٥٦هـ)، حققه، وفصله، وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط٤، ١٩٧٢م.

٢٥- عيار الشعر، محمد بن احمد بن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ)، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، منشورات محمد علي بيضون،(دار الكتب لعلمية)، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٦- فقه الاستنباط، السيد محمد تقي المدرسي، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

٢٧- الكامل في اللغة والأدب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد(ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٢٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.

٢٩- لسان العرب: جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور(ت ٧١١هـ)، حققه وعلّق عليه، ووضع حواشيه: عامر احمد

حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣٠- مباحث علم المعاني في تفسير (من هدى القرآن) للسيد محمد تقي المدرسي، (رسالة)، خالد عبد النبي عيدان الأسدي، جامعة كربلاء، كلية العلوم الإسلامية، ٢٠١٧ م.

٣١- المثل السائر في آدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين أبن الأثير الجزري(ت٦٣٧هـ)،تحقيق: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٣٢- مجاز القرآن، معمّر بن المثنى أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمد فؤاد سركين، نشر مطبعة سامي الخانجي ألكتبي، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

٣٣- المختصر في تاريخ البلاغة، د. عبد القادر حسين، دار الشروق، ط١، ١٠٤٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٤- المعجم القرآني، دراسة معجمية لألفاظ القرآن الكريم، د. حيدر علي نعمة، د. أحمد علي نعمة، مطبعة السيماء، بغداد، د.ط، ٢٠١٣ م.

٣٥- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٦م.

٣٦- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي(ت ٦٢٦هـ)، حققه وقدم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٧- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق، صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ٢٠٠٥م.

٣٨- مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩ م.

٣٩- من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرِّسي، دار القارئ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٤٠- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي(ت ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م)، الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٣٩١هـ.

٤١- نقد الشعر، ابو الفرج(قدامة بن جعفر)، تحقيق وتعليق: د٠ محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،(د٠ ط٠ ت).

٤٢- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، محمد بن عمر فخر الدين الرازي، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، ود. محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ١٩٨٥م.